الصَّدى الوجداني في شعر أنور العطَّار(١٩١٣-١٩٧٢)

قصيدته «بردى» نموذجًا

الدكتورة ناجية سليمان إبراهيم سليمان[1]

1) أستاذ مساعد في الأدب والنقد، جامعة بنغازي، ليبيا.

ملخَّص البحث

يتناول هذا البحث خصائص التجربة الشعرية عند الشاعر الدمشقي أنور العطار، من خلال قصيدته «بردى»، ويُركِّز على دراسة الصدى الوجداني في شعره، الذي يظهر واضحًا في طبيعة الموضوع، والتفاعل بينه وبين الذات المبدعة، وفي الألفاظ والصور، وأخيرًا في موسيقا الحروف والكلمات والقافية والبحر الشعري.

ـ المقدمة:

تُعَدُّ الظلال الوجدانية من أهم مزايا الإبداع في التجربة الشعرية، وقد أشار إليها قدماء النقاد، وأشادوا بأهميتها، ودَعَوا الأدباء والشعراء إلى التركيز عليها في نتاجهم، قال أبو هلال العسكري موضِّحًا أهميّة العاطفة في الشعر: «وينبغي أن يكون التشبيب دالاً على شدة الصبابة، وإفراط الوجد، والتهالك في الصبوة، ويكون بريًّا من دلائل الخشونة والجَلادة، وأمارات الإباء والعزة، ومن أمثلة ذلك قول أبي الشيص:

وقف الهوى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي ... مُتَقدَّمٌ عنه ولا مُتأخَّرُ

أجِدُ المَلامةَ في هواكَ لذيذةً ... حُبًّا لذكرِكَ، فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

أشبَهتَ أعدائي فصرتُ أُحبُّهم ... إذ كانَ حظِّي منكَ حَظِّي منهمُ

وأهَنتَني فأهنتُ نفسي صاغِرًا ... ما مَن يُهونُ عليكَ ممَّن أُكرِمُ

فهذه غاية التهالُك في الحبّ، ونهاية الطاعة للمحبوب»[٢].

ومن الواضح أن أبا هلال العسكري قد جعل مدار إعجابه بالأبيات على ما فيها من ظلال وجدانية، وعاطفة صادقة، إضافة إلى جوانب أخرى لا تتصل بالبحث.

وهذا البحث يتناول الجانب العاطفي في شعر أنور العطار، ويسعى لدراسة الظلال العاطفية في الموضوع والألفاظ والصور وإيقاع الحروف والكلمات والقافية والبحر، وقد اخترت قصيدة «بردى» للشاعر للعطار ليكون التطبيق والدراسة عليها، باعتبارها تمثِّل نموذجًا عاليًا من شعره العاطفي، بسبب ارتباط نهر بردى بحياة الشاعر وذكرياته، كما سيظهر في البحث.

تتألف قصيدة بردى من ستين بيتًا، تحدَّث فيها الشاعر عن مكانة بردى في وجدانه، ورمزيته التاريخية، وقصة الحب الخالد التي تربط هذا النهر بمدينة دمشق، فجاءت القصيدة لوحة رائعة يلتقي فيها الفكرُ والوجدان والذكريات والجمال.

والشاعر أنور العطار وُلد في مدينة دمشق عام ١٩١٣، وكان يسكن في حي المهاجرين المُطلّ على المدينة من الجهة الشمالية الغربية، عمل مدرِّسًا للأدب واللغة العربية في بلده سورية، ثم سافر إلى العراق عام ١٩٣٦ ودرَّس الأدب واللغة لمدة أربع سنوات، ثم عاد إلى بلده سورية، واستمرَّ في التدريس، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في وزارة المعارف السورية، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية ودرَّس الأدب في جامعة الرياض بين عامي ١٩٦٤- ١٩٦٦، ثم عاد إلى سورية

2) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص-129 130.

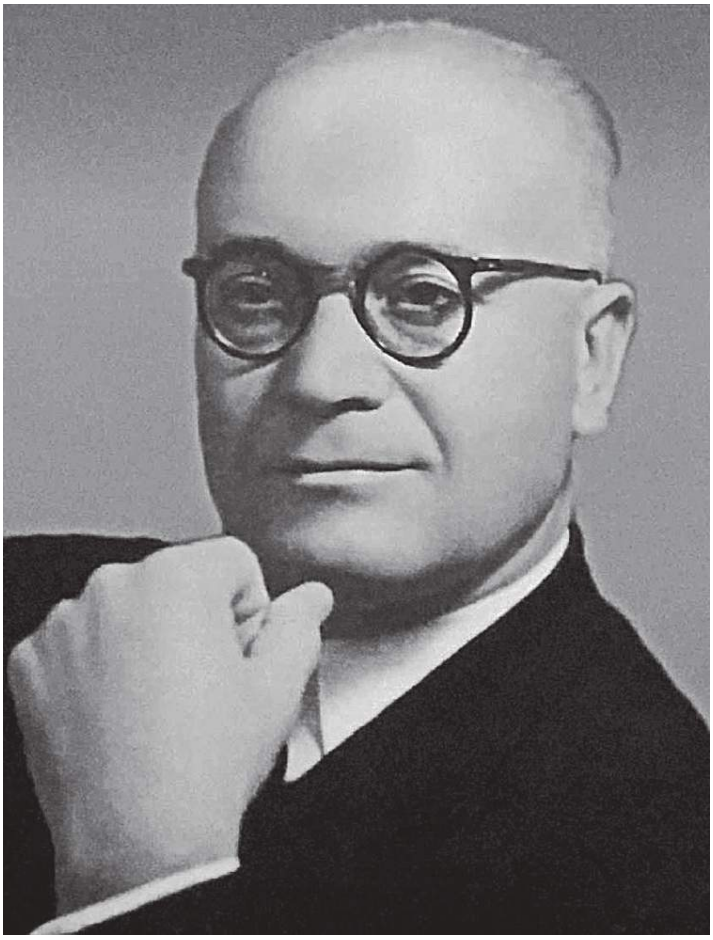

أنور العطار

حيث توفي عام ١٩٧٢، عن عمر بلغ تسعًا وخمسين عامًا.

يُعدُّ أنور العطار من شعراء الطبقة الأولى في القرن العشرين، وله عشرة دواوين شعرية، منها ديوانه: في ظلال الأيام، الذي اخترتُ منه قصيدة بردى. وقد تولَّى جمع شعره في مجموعة كامله ابنُه هاني أنور العطار، ونشره في دار الفكر بدمشق.

يتألف البحث من مقدمة وخاتمة وأربعة مباحث، تحدَّثتُ في المبحث الأول عن خصوصية الموضوع وصداه العاطفي، وفي المبحث الثاني عن التفاعل العاطفي بين الذات والموضوع، وفي المبحث الثالث عن الصدى العاطفي في الألفاظ والصور، وفي المبحث الرابع عن الإيقاع الموسيقي في الحروف والكلمات والقافية والبحر، وصداه الوجداني، ودوَّنتُ في الخاتمة أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث.

وقد رأيت أن ألحق البحثَ بقصيدة بردى كاملة، ليتسنَّى للقرّاء الاطلاع عليها، والوقوف على تفاصيلها وجمالياتها.

والله المُوفِّق وبه أستعين.

المبحث الأول
خصوصية الموضوع وصداه العاطفي

اختار الشاعر نهر بردى موضوعًا لقصيدته، وهو النهر الذي ارتبط اسمه بتاريخ دمشق وحضاراتها المتعاقبة، فمدينة دمشق وما يحيط بها من حقول وبساتين، ولا سيّما في الغوطتين الغربية والشرقية، ترتوي من هذا النهر، حيث تتدفَّق فروعه السبعة في أحياء المدينة، ويجري ماؤُه العذب في بيوتها وعماراتها، حتى ينتهي إلى الغوطة الشرقية، فيتخفَّى تحت ظلالها، ويسري بين أشجارها وزروعها، يرسم الحياة سطورًا وجداولَ، ويحمل في ضميره وفؤاده أسرارًا وحكايات، لا تقرؤها إلا عيون المتأمِّلين، ولا تفهمها إلا قلوب العاشقين[٣].

«بردى» النهر الخالد، الذي وُلد مع ولادة الزمن، وشهد على مرِّ الأيام أحداثَ التاريخ، ورحلةَ الإنسانية، وبزوغَ الحضاراتَ وتألُّقها، ولو أُتيح له أن يتكلَّم لَسمعنا منه قصصًا وعِبَرًا

3) للتوسُّع في الحديث عن نهر بردى ومجراه في مدينة دمشق والغوطة يُنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الإدريسي، عالم الكتب، بيروت 1409هـ، 1/ 367، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، 3/ 521.

ومواعظَ، ربَّما نسيها الدهر المُتعَب من الهَرم والشيخوخة، ولكن لم ينسها هذا النَّهر الذي يفيض قوةً وشبابًا.

«بردى» هو عنوان أعظم قصّة حبٍّ في التاريخ، فمنذ غابر الأزمان إلى اليوم ما نزال نرى بردى ودمشق عاشقين متعانقين، لا يصبر أحدهما عن حبيبه.. ويستمرُّ اللقاء، ويطول العناق، وتزدهر دمشق، ويترقرق ماء بردى، ونسمع من هذين العاشقين ما لا يعرفه قيسٌ وليلى، من فصول المعاناة والسرور، وحكايات الحبّ والجنون، ولحظات التلاقي والوصل، وخفقات القلوب المشتاقة، وأسرار الضمائر والوجدان.

يقول أنور العطار مصوِّرًا هذا الحبّ الخالد بين بردى ودمشق، في قصيدته «بردى»[٤]:

تنتحي جِلَّقَ الحَبيبةَ لَهفا ... نَ وتَجري في مَهدها مطمئنّا

وهي في فرحةِ المَشوقِ تلاقيـ ... ـكَ وتَحنو عليكَ صدرًا وحُضنا

وشاعرنا أنور العطار هو ابن مدينة دمشق، وأحد عشّاقها المخلصين، وحكايته مع بردى حكاية عشق طويلة، امتدت على امتداد حياته، منذ فتح عينيه على الدنيا، حتى أغمضهما في رقدته الأبدية، فلا عجب أن نجد نهر بردى بالنسبة إليه نهرًا مقدَّسًا، يختزن ماؤُه المتدفِّقُ ذكريات الطفولة، ونزقَ الشباب، وتأمُّلات الكهولة، ولا عجبَ أن نجد كلَّ وردة في ضفاف بردى، وكلَّ شجَرة، وكلَّ ذرة تراب، وكلَّ قطرة ماءَ، هي بمثابة صفحة دوَّن عليها ذكرىً غالية، وبثَّها من أحاديث النجوى ما لا تسَّعه السطورَ، ولا تقرؤه العيون، ولا تحظى به الأسماع.

إن كلَّ مشهد من مشاهد بردى يخترق وجدان شاعرنا وأحلامَه، ويتناغم مع أحاسيسه وآماله، ويتوارد مع تطلُّعات روحه الحالمة، وتأملاتِ فكره الشاعريّ، وهو يمضي في رحلة الحياة باحثًا عن الحبّ والجمال.

ومن هنا نُدرك أن الموضوع الذي يطرقه الشاعر العطار ليس مجرَّد لوحة يتجلَّى فيها جمالُ الطبيعة وجلالُها، وليس مجرَّد ماء يجري وخضرة وارفة، نعم.. إنه ماءٌ يجري، ولكنْ في عروق الشاعر وعالمه النفسيّ، ومنظرٌ ساحر، لكنْ يزاحم الصور في ذاكرة الشاعر ويستولي عليها، ولوحةٌ فاتنة، لكنْ لا يروق للشاعر أن يحلم بعيدًا عن تفاصيلها، يقول[٥]:

بردايَ الحَبيبُ يا فَرحةَ الرُّو ... حِ ويا مُنيةَ الهَوى ما تمنَّى

أنتَ نَجوايَ إن أظلَّني الشَّجـ ... ـو وأنحى عليّ سُقمًا ووَهْنا

وردُكَ العذبُ من أمانيِّ أحلى ... جَرْسُك الحلوُ من أغانيَّ أغنَى

أنتَ تَجري في خاطري وضُلوعي ... وتُعيدُ الحياةَ روضًا أغنّا

وتُثيرُ الهَوى فيَهمي دُموعًا ... وتَهُزُّ الفُؤادَ رُكنًا فرُكنا

فبردى في وجدان الشاعر هو الحبيب المعشوق، الذي تقف عنده كلُّ أماني الحبّ والشوق،

4) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص616.
5) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص615.

وأحلام السعادة والسرور، وهو الملاذ الذي ينزع إليه قلبُ الشاعر في لحظات الحزن والمرارة والألم، فيبثُّه حرارةَ شكواه، ويُضمِّنُه صادق عبراته، ثم يمضي وقد اطمأنَّ أن شكواه لاقت أذنًا صاغية، وعينًا باكية، وصدرًا يحفظُ الأسرار ويفيض بالحنان.

فموضوع «بردى» بالنسبة إلى الشاعر لا يقتصر على كونه لوحة فنيّة رائعة، تجتذب المواهب الشاعرية لوصفها والحديث عن جمالها، بل هو روح الشاعر وفؤادُه، ومُختزَن أسراره وذكرياته، وملاذه اللطيف الآمن، ومرآة نفسه وأحلامه، وصدى إحساسه ووجدانه، وعنوان السعادة والجمال، يقول[٦]:

جوُّكَ السمح من شذا المسك أندى ... نفسًا عابقًا وأشهى وأهنا
أنت للشعرِ مُلهِمٌ يَغمرُ الشِّعـ ... ـرَ لُحونًا ويُكسِبُ الفَنَّ وَزنا
يتغنَّى بك الهوى مستهامًا ... ليس يختارُ غيرَكَ الدهرَ خِدنا
يَدرجُ الحبَّ في حماكَ شهيًّا ... كل دوحٍ يُظِلُّ قيسًا ولبنى

فشاعرنا لا يريد صديقًا إلا بردى، ولا يروق له السمر إلا على ضفافه، ولا يستطيب التنزُّهَ إلا بين أشجاره وورود، وما ذاك إلا لأنه عشق هذا النهرَ، واختارَه من بين الوجود، وانتقاه من مشاهد الطبيعة، ليكون له الإلفَ الذي لا يُمَلُّ، والحبيبَ الذي لا يصبرُ لحظةً عن منادمته ولقياه.

وفوق هذا الحب والعشق يرى شاعرنا في بردى قوةَ السحر والإلهام، فيستمدُّ منه الألحانَ والقوافي، ويستلهم منه الجمالَ والمعاني، ثم يبوح بالشِّعر مُعبِّرًا عمَّا في أعماق نفسه من حبٍّ وإجلال لهذا النهر، ومنتشيًا مع نهره المحبوب بالموسيقا والألحان، ومحلِّقًا معه في فضاء التأمُّل والحياة، يقول[٧]:

برادي الذي حببتُ على الدهـ ... ـرِ وأحللتُهُ فؤادي سُكنى
أنتَ مني الحلمُ الذي أتَشَهَّى ... أَنتَ مني الشعرُ الذي أتغنَّى

فموضوع «بردى» تتجلَّى خصوصيتُه في ارتباطه المباشر بطفولة الشاعر وشبابه وكهولته، وبأحلامه وذكرياته، ولحظات الشكوى والسعادة، ومرارة الهزيمة أمام الحياة، وحلاوة الانتصار، ولهذا كان له صدًى وجدانيٌّ، لم يتوقَّف عند حياة الشاعر وحاضره، بل شمل الاعتزاز بالماضي المجيد، والحضارات التي عاصرها بردى في رحلته عبر التاريخ، يقول[٨]:

قصَّ أسطورةَ الليالي الخوالي ... بخيالاتِ شاعرٍ ما تَجنَّى

6) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص616.
7) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص616.
8) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص613.

وروى قصَّةَ الغَساسنة الغُـ ـرِّ وعَهداً من بَهجَةِ الفَجْرِ أسنَى
وحكى إمرةَ الغَطارفة الصِّيـ ـدِ ومَن أشرقُوا على المُلكِ يُمنا
الحُماةُ الأُباةُ من عَبدِ شَمسٍ شَرُفُوا مَغرسًا كريمًا ومَجنَى
ملكوا الأرضَ فاستقادَت لهم طَو عًا ودانَ الوُجودُ سَهلاً وحَزْنا

فبردى في نظر الشاعر نهرٌ خالدٌ، عاصر عدّةَ حضارات ازدهرت على ضفافه، وسمَتْ عزًّا ومجدًا وخلودًا.. إنه النهر الذي كان يتدفَّق وأمجادُ الغساسنة بازغة الضياء في سماء دمشَق، وهو النهر الذي كان يجري وخلفاءُ بني أميّةَ يُديرون من دمشق مُلكَهم الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربَها.. فهذا النهر هو سجلُّ التاريخ، الذي يحتفظ في ذاكرته بأحداث وصُوَر، ويجري في الحاضر ليُؤنسَ الشاعرَ، ويستقبلَ ما يبثّه من النجوى والشكوى.

ممّا تقدَّم يظهر أن موضوع «بردى»، في شعر أنور العطار، كان له صدًى وجدانيٌّ، وتأثير عاطفيٌّ، لارتباطه بحياة الشاعر وذكرياته، فكأنه لا يجري أمام عيونه فحسب، بل يجري في خاطره وضلوعه، ويترقرق عذبًا في ذاكرته وأحلامه، ويتوزّع قوافيَ وألحانًا في شعره وإبداعه.

المبحث الثاني
التفاعل بين الذات والموضوع في قصيدة «بردى»

ذكرتُ في المبحث السابق أن موضوع القصيدة «بردى» ذو صدًى وجداني عميق، لعلاقته المباشرة بشخصية الشاعر وحياته وعالَمه النفسي، وهذا الصدى أكسَب القصيدةَ قيمةً فكرية، وصبغة تأمُّلية، وفَيضًا من المشاعر والأحاسيس، وكلُّ ذلك أضفى على القصيدة جمالاً فنيًّا، وجعلها من القصائد المتميّزة في ديوان ظلال الأيام، للشاعر الدمشقي أنور العطار.

ومن الطبيعيّ أن يكون للمواضيع المتَّصلة بالعالم النفسي والفكري للشاعر تفاعلٌ مع ذاته المُبدعة، بحيث يُصبح الموضوع مرآةً للذات، وتُصبح الذاتُ جزءًا أساسيًّا من الموضوع، فكلٌّ منهما يُؤثّر في الآخر، ويكتسب منه بعضًا من صفاته، فنرى الموضوعَ يتحوَّل إلى إنسان شاعر، كما نرى الشاعرَ يلتصق بالموضوع وكأنه جزء من عالَمه وكيانه.

وفي قصيدة «بردى» بلغ الإبداع درجةً لم نعد نُميِّز فيها بين النهر والشاعر، أي بين الموضوع والذات، فكلٌّ منهما حاضر في نفس الدرجة، ومؤثّر ومتأثّر بالآخر على حدٍّ سواء، فيخلع الشاعرُ على النهر عالَمَه النفسي، كما يستلهم من النهر المواعظ والمواقف والشاعرية والجمال.

ومن ثمرات التفاعل بين الذات والموضوع في القصيدة أن بردى في المقطع الأول ظهر بثوبه الحقيقي، وهو يسير بين الروض، ترسمه ريشةٌ مُبدعة، وفنٌّ عبقريٌّ، يقول أنور العطار[٩]:

بردى سَلسَلُ البقاءِ ولحنٌ عبقريٌّ على المَدى يتغنَّى
رفَّ بين الحقولِ نشوانَ هيما نَ وغنَّى الربا فجُنَّت وجُنّا

)9) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص613.

مـرَّ كالعاشـقِ المُتيَّـم بالـرَّو ضِ وكالطَّيرِ يَسكبُ الرُّوحَ لَحنا

ففي هذه الأبيات يظهر بردى في ثوبه الحقيقي، فهو نهر خالد، يتدفَّق ماؤُه على امتداد الزمن، تنبعث من مائه نغماتٌ تُداعب الأرواح، وتُصافح النسيم، وتُجاري حفيف الأوراق، وتغريد الطيور، إنّه عالَم بردى المليء بالجَمال والروعة والموسيقا والحياة، يُصوِّره شاعرُنا المُبدع، فيُضفي عليه مسحةً من التأمُّل والشاعرية، فإذا بالنهر يبدو كعاشقٍ أسكره الحبُّ، يرتمي في أحضان النشوة والفتون.

ثم إن الشاعر يُخرجُ النهرَ من غمرة السُّكر والفتون، ويخلع عليه رداء الفخر والكبرياء، فإذا به يقصُّ أساطير الزمن الخالي، ويتحدَّث عن حضارات الغساسنة والأمويِّين، وهنا يتأثَّر الشاعرُ بالنهر، فيُقارن بين الماضي المجيد والحاضر البليد، فيَغصُّ بما يرى، وينقل إحساسه لنهره الخالد، يقول[10]:

غبرَ النـاسُ في رُؤى الدَّهـرِ لَفظًا وانطـوَوا في الغيـوب لفظًا ومعنـى
زيَّنـوا الكـونَ بالهدايـا والنُّـو رِ وأضفَـوا عليـه علمًا وفَنّـا
ذكريـاتٌ يحيـا بهـا ونجـاوى تركتـه مُشـتَّتَ النَّفسِ مُضنَـى

ويصل التفاعل بين الذات والموضوع قمّتَه في المقطع الثالث، حيث يُلقي الشاعر على النهر جملةً من أحاسيسه، ثم ينطوي تحت معطفه، ويُنشد معه أنشودة البؤساء، بصوت واحد، ولحن شجيٍّ، يُعبِّر عن المعاناة والألم، فالنهر تَعبٌ من تعاقب الأزمان والعصور، والشاعر مرهَقٌ من رحلة الحياة، يقول[11]:

مُتعَـبُ الـرُّوحِ إن تذكَّـرَ أنّـا موجَـعُ القلـبِ إن تلفَّـتَ حنّـا
مـا عليـه إن جـرى كالـحَ الوَجْـ ـهِ كَئيبًـا جـمَّ الهمـومِ مُرنّـا
بـينَ جَنبَيـه مـن صـراع اللَّيـالي مـا يُعَنِّـي ومـا يَهيـجُ المُعنَّـى
سـاربٌ في الفجـاجِ مـا يَتروَّى راكـضٌ في الوِهـادِ مـا يتأنَّـى
مـا لنهـرِ الخلـود يجـري مُغيظًـا مُحنقًـا مُتَـرعَ الجَوانـحِ ضغنـا
أتـراهُ اجتَـوَى الذيـنَ أضاعُـو هُ فولَّـى غضبـانَ يُعـرضُ عنّـا

في هذا المقطع تنحرف مسيرةُ النهر، وتتغيَّر ملامحه، ويتعكَّر صفاؤه، فبعد أن كان هيمانَ يستخفُّه الطربُ والعشق، ويجري سكرانَ في أودية الجنون، وبعد أن صحا ثمّةَ من سُكره وارتدى ثوب وقاره، وقصَّ الحكايات والأساطير، وقف هنا لحظة مع الذات والذكرى، وتأمَّل في صفحات العصور الخالية، التي طُويَت أمام عيونه، وشهد مصارعَ أهلها، فداخَله العبوسُ والأشجانُ،

10) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص614.
11) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص614.

وغابت بسمته الحالمة تحت رماد السنين.

وفي المقابل وقفَ الشاعرُ وقفةَ المتأمِّل، يسترجع المواقف والذكريات، ويستحضر من ذاكرته صورًا ومشاهدَ، مزَّقتها الأيام والسنون، وقطَّعتها يدُ الدهر والمنون، فيلوذ بنهره المتدفِّق ويضمُّه، ويغني معه أنشودة العذاب والمعاناة، في جوٍّ مكفهرٍّ كئيب.

في غمرة هذا الاتحاد بين الذات والموضوع يَتَّحد صوت الشاعر والنهر في الشكوى، وتتوافق القلوب في النجوى، ويسير النهر والشاعر في أرضٍ موحشة، وأحلام مُريبة، ورحلةٍ عنوانها التشرُّد والضياع.

فكلاهما مُتعَب الروح، مُوجَعُ القلب، يُمزِّقُه الأنين والحنين..

وكلاهما يسير كئيبًا، كالحَ الوجه، عظيمَ الهموم، شديد البكاء..

وكلاهما يحمل في صدره جراحَ الزمن، وطعنات السِّنين، وصراع الأيام..

وكلاهما يسير مُسرعًا تائهًا، على غير هدًى، يَحدوه الضَّياع..

وكلاهما يفيضُ صدرُه بالأسى والغيظ، وتخنقُه العَبراتُ والنَّشيج..

وكلاهما يشعر أن أحبَّتَه أضاعوه، فعانقَ خيباته وجراحَه، وانزوى في عزلته..

يتجلَّى واضحًا، فيما عرضتُه، نهجٌ راسخٌ في شعر أنور العطار، يقوم على التفاعل بين الذات والموضوع، فالشائع أن الأديب هو الذي ينثر مشاعرَه على الموضوع، فيُكسبُه بعضًا من إحساسه، وألوانًا من عالمه النفسي[12]، لكنّ أنور العطار يُقدِّم في شعره نموذجًا جَديدًا، مختلفًا عن المعهود، فهو يخلع على الموضوع ألوانًا من العاطفة، فينمو الموضوعُ ويُصبح خَلقًا جديدًا، فيستوحيه الشاعر ويتأثَّر به، وتظهر علامات التأثُّر في نشوء مشاعر ومواقف جديدة لدى العطار، يعود فيخلعها على موضوعه.

وهكذا يستمر التفاعل والتأثُّر بين الذات والموضوع، وينتج عن هذا التفاعل عالَمٌ واسعٌ من الأحاسيس الشاعرية، وألوانٌ مبتكرة من الوصف الدقيق، وغالبًا ما ينتهي المطاف إلى الاتحاد بين الذات والموضوع، ولا سيّما في الموضوعات ذات الصدى الوجداني، التي تتداخَلُ مع ذكريات الشاعر وحياته، فإذا بالذات والموضوع موجةٌ واحدة من صدق المشاعر وحرارتها، وصفحةٌ واحدة من المواقف والأحلام والأمنيات.

المبحث الثالث
الصَّدى الوجداني في الألفاظ والصُّوَر

مما لا شكَّ فيه أن كلَّ لفظ له دلالة معجمية تُميِّزه عن غيره، كالجبل والنهر والعشب وغيرها، ولكن الدلالة المعجمية وحدها لا تكفي للحكم على اللفظ بالجمال أو القُبْح، وإنما هناك مزايا أخرى، من أهمها الإيحاء العاطفي، الذي يُكسب اللفظ دلالة إضافية، ويُرشِّحه للاستعمال في الشعر، قال ابن المعتزّ معلِّقًا على بيت للأعشى: «وممّا استُضعف من معانيه قوله[13]:

12) يُنظر: قضايا الشعر العربي الحديث، للدكتور عبد الله خضر حمد، ص43.

13) أراد بالشاة: المرأة. ومعنى البيت أنه استغلَّ غفلةَ الرجل عن امرأته، فرماها بسهم الحبّ، فأصاب به قلبها وطحالها، أي أنها وَقَعَت في حبّه. يُنظر: ديوان الأعشى، ص27.

ـتُ غفلةَ عَينِـه عَـن شـاتِه فأصَبـتُ حَبّـةَ قَلبِ

أنور العطار في مكتبته

وقد عابَه قومٌ بذلك، لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردَّد كثيراً في الشعر، عند ذكر الهوى والمحبة والشوق، وما يجده المُغرَم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب، ولم يَجدُوا الطِّحالَ استُعمل في هذه الحَال، إذ لا صُنعَ له فيَها، ولا هو ممّا يَكتَسبُ حَرارةً وحركةً في حُزن ولا عشق، ولا بَرداً وسُكوناً في فرح أو ظفَرَ؛ فاستهجنوا ذكرَهُ»[١٤].

فابن المعتزّ هنَا يُشير إلى أن بعض الألفاظ تكتسب من الاستعمال والعُرف شيئًا من الأحاسيس والعواطف، فتتجاوز دلالتها المعجمية، بما تحمله من صدًى وجدانيٍّ، يلامس العالَم الداخليّ للإنسان، ويتناغم مع ما في نفسه من مشاعر الألم والسعادة، والحزن والفرح، والخيبة والأمل، ومثل هذه الألفاظ تمنحُ الشعرَ جمالاً فنيًّا إضافيًّا، على حين أن الألفاظ التي لا تحمل هذا الصدى الوجداني لا تكون مستساغة في الشعر، أو على الأقل تكون سببًا في هبوط المستوى الفني للقصيدة.

وقد أدرك علماء البلاغة والنقد تلك المزايا التي تختص بها بعض الألفاظ، ولكنهم لم يتعمَّقوا في دراستها وتحديد طبيعتها، وإنما اكتفوا بتوجيه الناشئة من الأدباء والشعراء إلى الاقتداء بفحول الشعر، وحفظ نتاجهم الأدبي، ومحاكاتهم في الألفاظ والمعاني والأساليب، لأن ذلك يؤدي إلى تربية الذوق اللغوي لدى الأديب الناشئ، ويُغني عن الدراسات في هذا المجال، قال الأصمعي: «لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ»[١٥].

ومن يتصفَّح نتاجَ شاعرنا أنور العطار يُدرك أنه كانَ مُلمًّا بالدلالات الدقيقة للألفاظ، مُتبصِّرًا بكل ما فيها من مزايا إيحائية وشعورية، وما ذاك إلّا لكثرة اطلاعه على هذا الفنّ، وتمرُّسه فيه، فجاءت ألفاظه في منتهى الدقة والعذوبة، من حيث الدلالة والإيقاع، وفي منتهى التأثير، من حيث الصدى الوجداني الذي تختزنه بين حروفها.

ولنأخذ مثالاً على الألفاظ ذات الإيحاء العاطفي قوله يصف حال النهر، وقد أتعبته الحياة، وأضناه المسير عبر العصور، يقول[١٦]:

14) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني (ت 384هـ)، ص-71 72.
15) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت 463هـ)، 1: 197.
16) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة ص614.

الـرُّوحِ إن تذكَّـرَ أنّـا موجَـعُ القلـبِ إن

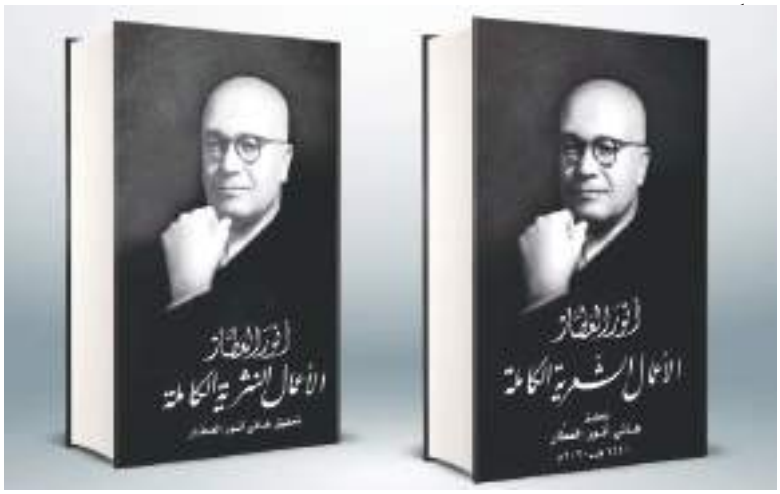

من مؤلفات أنور العطار

ففـي هـذا البيـت تظهـر شـاعرية العطـار في كامـل ألقهـا وتوهُّجهـا، بدءًا بالـوزن الشـعري والقافيـة، مـرورًا بالصـور البيانيـة الرائعـة، وانتهـاء بالألفـاظ العذبـة الجـرس، الدقيقـة الدلالـة، ذات الإيحـاء الوجداني، الـذي عليـه مـدار الـكلام في هـذا المبحـث.

فموضـوع الأبيـات، كمـا ظهـر في المبحـث السـابق، هـو الحديـث عمّـا يُحسُّه النهـر والشـاعر مـن التعـب والألم في رحلـة الحيـاة، وقـد أجـاد الشـاعر في التعبـير عـن هـذا الموضـوع، باعتمـاد عـدّة تقنيـات فنيـة، مـن بينهـا حُسـنُ اختيـار الألفـاظ.

فلفـظ «الـروح» ذو محتـوى عاطفـي، لارتباطـه بحيـاة الإنسـان وعمـره وأشـواقه وأمنياتـه، فاسـتعماله يلامـس العالَـم الداخلـي للقـارئ، ويُوقـظ فيـه الكثـير مـن المشـاعر والذكريـات، فيجـد القـارئ النـصَّ قريبًـا مـن نفسـه وميولهـا وأحلامهَـا، فينجـذب إليـه، ويفتـح لـه فكـره ووجدانـه.

ولفـظ «القلـب» هـو كالـروح أيضًـا، يُفضـي التلفُّـظ بـه إلى اسـتحضار الكثـير مـن الذكريـات والمواقـف، وإثـارة المشـاعر حولهـا، فيُحِـسُّ القـارئ بـأن النـصَّ قـد كُتِـبَ لـه، فيتفاعَـل معـه ويميـل إليـه.

وألفـاظ التعـب والأنـين والوجـع والحنـين تدلُّ علـى أحـوال عصفـت بكلِّ النـاس، وتركـت آثارهـا في نفوسـهم، فاسـتعمالها يـؤدي إلى اسـتحضار تلـك الأحـوال، وإثـارة المشـاعر المرتبطـة بهـا، وهـذا كلـه يسـتميل القـارئ، ويجعلـه يتفاعـل مـع النـص بروحـه ووجدانـه.

ولفظـا التذكُّـر والتلفُّـت، في موضـوع الألم والتعـب، يُوحيـان بالخيبـة والضيـاع والخـوف، واسـتعمالهما يُوقـظ هـذه المشـاعر، ويسـتحضر مواقـف مشـابهة عانـى منهـا القـارئ، فيلتصـق بالنـص عنـد سماعهمـا، لأن تأثـير النـص تجـاوز الأذن عنـده، ودخـل عالَـم القلـب.

يتَّضـح مـن هـذا العـرض الموجـز أن بيتًـا واحـدًا مـن قصيـدة «بـردى» يحتـوي كثيرًا مـن الإيحـاءات الوجدانيـة، المرتبطـة بحُسـن اختيـار الألفـاظ، والتي تدلُّ علـى تمرُّس الشـاعر بفـن الشـعر، وتمكُّنـه منـه، وخبرتـه العميقـة بالطاقـات الشـعورية الـتي تختزنهـا الألفـاظ، وتُرشِّـحها للتعبـير الدقيـق عـن الموضـوع.

وأنتقـل الآن إلى الحديـث عـن الإيحـاء العاطفـي في الصـور البيانيـة، فمـن المعلـوم أن الصـور البيانيـة الأكثـر اسـتعمالاً هـي التشـبيه والاسـتعارة، ولهمـا أغـراض دلاليـة وجماليـة كثيرة، ذكرهـا علمـاء البلاغـة في مصنفاتهـم[١٧].

17) يُنظر في أغراض التشبيه مثلًا: أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، ص180، والمفصّل في علوم البلاغة العربية، للدكتور عيسى العاكوب، ص429.

وما أريد الحديث عنه في هذا الموضع أن بعض الصور البيانية، شأنها شأن الألفاظ، تحمل إيحاءات عاطفية، تجعلها تفوق نظائرها من الصور الأخرى، مهما بلغت من الجمال وحُسن الصنعة، وقد أتقن شاعرنا العطار هذا الجانب من جوانب التعبير الفني، فاختار المشبَّه به، سواء في التشبيه أو الاستعارة، ممّا يرتبط بالمشاعر والأحاسيس، فضلاً عن جمال الصورة.

ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة «بردى»، يصف النهر في حال زهوه وفرحه[١٨]:

بـردى سَلسَـلُ البقـاءِ ولحـنٌ عبقـريٌ على المَدى يتغنَّـى
رفَّ بـين الحقـولِ نشـوانَ هيمـا نَ وغنَّـى الربُـا فجُنَّـت وجُنّـا
مـرَّ كالعاشـقِ المُتيَّـم بالـرَّو ضِ وكالطَّيرِ يَسكبُ الـرُّوحَ لَحنا

ففي البيت الأول شبَّه نهر بردى بسَلسَل البقاء، وباللحن العبقري، والسَّلسَل: الماء العذب الذي داعبَت متنَه الريح، فرسمت عليه ما يُشبه السِّلسلة[١٩]. والعَبقَري: الذي لا يُشبهه شيء، فهو وصفٌ لكل ما بُولغ في صفته، نسبة إلى وادي عبقر، الذي تسكنه الجنُّ بحسب الأسطورة المعروفة[٢٠].

وفي تشبيه بردى بسلسلِ البقاء استحضار لروح التأمُّل والتفكُّر في الحياة وما وراءَها، حيث يجد القارئ نفسَه غارقًا في ذكريات كثيرة، متأمِّلاً في الطبيعة والكون، متفكِّرًا في الوجود والعدم، وحكمة الموت والحياة، متخيِّلاً مشاهدَ من عالم السماء والآخرة، وهذه التأمُّلات تُثير في وجدانه الكثير من المشاعر والأحاسيس، مبعثُها تشبيه بردى بسلسل البقاء. أما تشبيه بردى باللحن العبقري ففيه استحضار لمشاعر الهيبة والجلال، والإعجاب بالجمال والإبداع.

وفي البيت الثاني شبَّه بردى بالإنسان النشوان الفرح، ثم حذف المشبَّه به وهو الإنسان، وأبقى شيئًا من لوازمه، وهو النشوة والهيام والغناء والجنون، على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة مدعاةٌ للتخيُّل والتأمُّل، حيث ترتسم في ذهن القارئ صورة إنسان لطيف، غارق في الحبّ والأحلام، يرقص طربًا، ويُغني للطبيعة والحياة أجمل المقاطع والأناشيد، وهذه الصورة تُثير في وجدان القارئ مشاعر الإعجاب بالنهر والطبيعة والحياة.

وفي البيت الثالث شبَّه بردى بالعاشق، ثم بالطير، كما شبَّه الروضَ بالمعشوق، وهذه التشبيهات مدعاةٌ لاستحضار صور من عالم الإنسان والطبيعة، وذكريات محبَّبة، تأنس بها النفس، وتتفاعل معها، بمشاعر الإعجاب والشوق والحب.

مما سبق يتَّضح أن الشاعر أنور العطار كان بارعًا في التصوير، دقيقًا في اختيار الألفاظ، وأهم ما تتميَّز به ألفاظه وصوره، من الناحية الفنية والشاعرية، هو ذاك الصدى الوجداني، الذي تُثيره في نفس القارئ، فيلتصق بالنصّ، ويُفرِّغ له فكرَه وقلبَه، ويسير مع المعاني والصور والموسيقا، وقد انطلقَ فكره في عالم الخيال، وانغمست روحه في بحرٍ من المشاعر والأحاسيس.

18) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص613.
19) المعجم الوسيط، مادة (سلسل).
20) لسان العرب، لابن منظور، مادة (عبقر).

المبحث الرابع
الإيقاع الموسيقي وصداه الوجداني

يتألف الإيقاع الموسيقي في الشعر من الوزن العروضي والقافية في الدرجة الأولى، ثم من إيقاع الحروف وجرس الألفاظ في الدرجة الثانية. وبين الشعراء تفاوت كبير في القدرة على توظيف أنواع الإيقاع في نتاجهم الأدبي، كما يُعَدُّ إتقان الإيقاع، وملاءمتُه للمعاني والدلالات، وتناغمه مع المشاعر والأحاسيس، من علامات الإبداع والتمكن من الفن الشعري.

وللحديث عن الإيقاع الموسيقي، عند أنور العطار، أتناول مقطعًا من قصيدته بردى، وهو قوله يصف جمال النهر ومكانته في فؤاده[٢١]:

أنت للشعرِ مُلهِمٌ يَغمرُ الشِّعـ ـرَ لُحونًا ويُكسِبُ الفَنَّ وَزنا
يتغنَّى بك الهوى مستهامًا ليس يختارُ غيرَكَ الدهرَ خِدنا
يَدرجُ الحبُّ في حماكَ شهيًّا كل دوحٍ يُظِلُّ قيسًا ولبنى
وتطلُّ الطيورُ هيما تُغادي ـك فُرادى وتنثني عنك مَثنى
ملء أرواحها حنينٌ وشوق وضلوعٌ على ودادكَ تَحنى

يُلاحَظ على هذا المقطع أنه يسوده جوٌّ من الحب الهادئ، الممزوج بالذكريات والتأمُّل، فالشاعر يعشق نهر بردى، ولكنّ هذا العشق له خصوصية، فهو مدعاة إلى التأمُّل واستحضار الذكريات، ويُضفي على نفسية الشاعر مسحة من الحزن، لارتباطه بتفاصيل حياته، وأيام عمره، ولغز الحياة والموت.

ومثل هذا الجوّ لا يلائمه إلا إيقاعات خاصّة، تُتيح للقارئ أن يعيش إحساس الشاعر ذاته، بما ينطوي عليه من الشَّجى والشوق، والإعجاب والاعتبار.

وقد أتقنَ الشاعر الإيقاعات الموسيقية في قصيدته، بدءًا بإيقاع البحر الخفيف، مرورًا بإيقاع القافية، وانتهاء بإيقاع الحروف والكلمات.

فالشاعر اختار نظمَ قصيدته على البحر الخفيف، وهو من البحور المتوسطة من حيث عدد الحركات والسكنات، ويتألف من ثلاث تفعيلات، هي[٢٢]: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، وهذه التفعيلات إن جاءت تامّةً ففيها موسيقا تُلائم الحبَّ الهادئ وجوَّ التأمُّل المُصاحب له، لتوزُّع الحركات والسكنات بصورة منتظمة تقريبًا، ففي كلِّ تفعيلة وتد مجموع واحد (//٥)، على حين يتألف باقي التفعيلة من تعاقب متحرّك وساكن مرتين (/٥)، وهو ما يُسمَّى في العروض بالسبب الخفيف.

ودخول مستفعلن بين التفعيلتين المتشابهتَين فاعلاتن يُؤدي إلى تنوُّع الإيقاع، فيبدأ بطيئًا هادئًا مع فاعلاتن الأولى، ثم يشتدّ قليلاً مع مستفعلن، ثم يعود إلى الهدوء والبطء مع فاعلاتن الثانية، وهذا الإيقاع يُحاكي بهدوئه وبُطئه حالة التأمُّل والذكريات، كما يُحاكي باشتداده في

21) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص616.
22) يُنظر في تفعيلات البحر الخفيف وجوازاته: موسيقا الشعر العربي، لمحمود فاخوري، ص43.

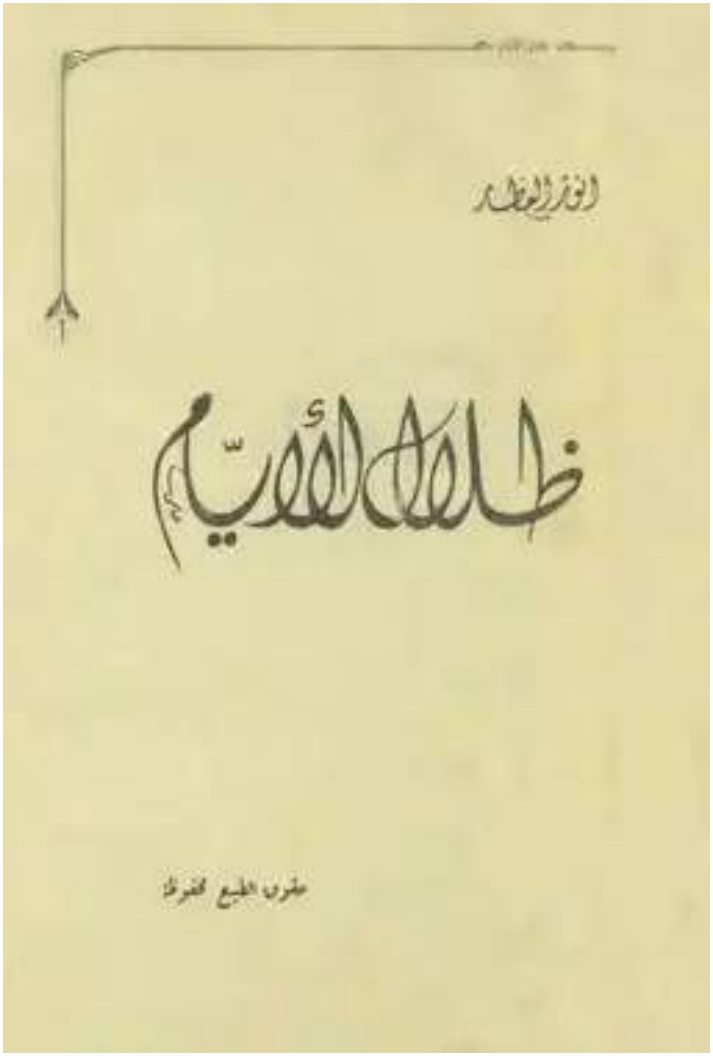

من مؤلفات أنور العطار

مستفعلن صورة جريان النهر.

ويجوز في التفعيلات السابقة حذف الثاني الساكن على النحو: فَعلاتُن مُتَفعلُن فَعلاتُن، وفي هذه الحالة تتعَاقب في كلِّ تفعَيلة ثلاث حركات، ويُصبح الإيقاع سريعًا يُلائم حركة النهر وسرعة الزمن[٢٣].

فالبحر الخفيف، الذي نظم عليه الشاعرُ قصيدتَه، يُناسب في تنوُّعه الموسيقي مشاهدَ بردى وجريان مائه وتغريد أطياره، ومناظر الرياض والورود والأشجار حوله، ومشاهد السكون والحركة، وأحاسيس الشاعر الموزَّعة بين الفرح والإعجاب، والشوق والحنين والأحزان.

أما إيقاع القافية فأهم ما فيه الروي، وهو النون المفتوحة، التي يَعقبها الألف، والنون من الأحرف اللسانية، المصحوبة بغنّة تخرج من الأنف عند النطق بها، وهو حرف مجهور، مُنفتح، وبين الشِّدة والرخاوة، أي أن النون من الحروف السهلة النطق، وإيقاعه يُعبِّر عن العفوية والبساطة في تناول الموضوع، كما أن غُنَّتَه أضفَت على الإيقاع العام نغمة لطيفة، واتّصاله بالألف أكسب الإيقاع امتدادًا يُحاكي حالات التأمُّل والحب ورحلة النهر الخالدة عبر الزمن.

وأما إيقاع الحروف فيظهر في الأحرف الأكثر استعمالاً في هذا المقطع، وهي: الشين والسين والراء والحاء والهاء والثاء، إضافة إلى أحرف المدّ الألف والواو والياء.

فالشين والسين والحاء والثاء أحرف مهموسة، على حين أن الهاء والراء مجهورة، وهذا يعني أن الهَمْس هو الإيقاع الغالب على الحروف، وهو يُلائم الحبَّ الهادئَ وحالة التأمُّل والذكريات[٢٤].

يُضاف إلى ذلك أن صفة التَّفشي في الشين، وهي انتشار الصوت في الفم عند النطق به، تُحاكي جريان النهر وامتداد الظلال ومرور النسيم، كما أن صفير السين يُلائم جوَّ الهدوء والعزلة والتأمُّل، أما صفة التكرار في الراء فتُناسب جريان الماء وحفيف الأوراق، وأما حروف

23) يرى العروضيُّون أن إيقاع البحر الخفيف فيه بطءٌ وخِفّة، وأنه بحر مزدوج اجتمعت فيه نبرة الرجز الترنُّمية «مستفعلن»، وبطءُ الرَّمَل ووقاره «فاعلاتن فاعلاتن»، وهو من أكثر البحور ملاءَمةً للتعبير عن المشاعر. يُنظر: دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، الدكتور حسين علي الدخيلي، ص74.

24) يُنظر في مخارج الحروف وصفاتها: الكتاب لسيبويه، 4: 433، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، 1: 198، ودراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح، ص275.

المد الألف والواو والياء فإيقاعها يأتي من توزُّعها على مسافات متساوية داخل البيت الشعري، وهذا الأمر تحقَّق في كامل القصيدة، وفي المقطع الذي بين أيدينا، وهذا التوزع يُضيف إلى الإيقاع امتدادات صوتية تُناسب الجو العام والدلالات الغالبة على المقطع.

وأما إيقاع الألفاظ فإنه يتكون من استعمال ألفاظ متساوية في العدد في كل شطر، ويزداد الإيقاع جمالاً إذا كانت الألفاظ المستعملة متفقة، كلها أو بعضها، في الوزن الصرفي، والملاحظ على المقطع المختار أن كل شطر فيه يتألف من أربع كلمات تقريبًا، وفي البيت الأخير حقَّق الشاعر التوافق في الوزن العروضي بين كلمتي: حنين وضلوع، وهذا التقسيم الموسيقي للألفاظ يُكسب الأبيات إيقاعًا، يُضاف إلى إيقاعات البحر والقافية والحروف.

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر استعمل في موضوع الفخر بالتراث العربي والتاريخ، في هذه القصيدة، إيقاعًا صاخبًا يُناسب الجوَّ العام والدلالات، ففي التعبير عن اعتزازه ببني أمية قال[٢٥]:

وحكى إمرةَ الغَطارفةِ الصِّيـ ـدِ ومَن أشرقُوا على المُلكِ يُمنا

فقد استعمل في هذا البيت الغين والطاء في «الغطارفة»، وكلاهما من أحرف الجهر والاستعلاء، وللطاء صفتا الإطباق والقلقلة، كما استعمل الصاد والدال في «الصِّيد»، والدال من أحرف القلقلة، على حين أن الصاد من أحرف الإطباق والصفير، ومن الواضح أن الإيقاع الغالب على البيت هو إيقاع الشِّدة والصَّخَب، وهو يناسب الاعتزاز بأمجاد الأمويين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

مما تقدَّم يتَّضح أن الشاعر أنور العطار كان دقيقًا في توظيف الإيقاع الموسيقي في شعره عامةً، وفي قصيدته بردى على وجه الخصوص، وتجلَّى هذا الإيقاع في الحروف والألفاظ والبحر والقافية، بحيث جاءت النغمات الموسيقية مناسبةً تمامًا للموضوع وما يسوده من أجواء الذكريات والتأمُّل، ومشاعر الحبّ والإعجاب.

25) أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، ص613.

أنور العطار والشيخ الأديب علي الطنطاوي

_ الخاتمة والنتائج:

تحدَّثتُ في المبحث الأول عن خصوصية بعض المواضيع وعلاقتها بالعاطفة، وفي المبحث الثاني عن التفاعل بين الذات والموضوع وأثر كلٍ منهما في الآخر، وفي المبحث الثالث عن الصدى العاطفي في الألفاظ والصور، وفي المبحث الرابع عن الإيقاع الموسيقي وصداه الوجداني، ودرستُ هذه القضايا دراسةً تطبيقية على قصيدة «بردى» للشاعر الدمشقي أنور العطار. وانتهى البحث إلى النتائج التالية:

١- الظلال العاطفية من أهم عناصر الإبداع في النصّ الشعري، وهي تظهر بوضوح في الألفاظ والصور والموسيقا، وترتبط ارتباطًا وثيقًا ببعض الموضوعات المتّصلة بحياة الشاعر وذكرياته.

٢- تمثِّل قصيدة بردى نموذجًا للشعر العاطفي عند أنور العطار، لما لموضوعها من ارتباط وثيق بحياة الشاعر وذكرياته وتاريخ مدينته دمشق.

٣- من الشائع عند النقاد أن الشاعر المبدع يُلقي على موضوعه ما في نفسه وذاته من مشاعر وأحاسيس، لكن الشاعر العطار تجاوز ذلك إلى نوع من التفاعل بين الذات والموضوع، بحيث يُؤثِّر كلٌ منهما في الآخر باستمرار، حتى تنتهي القصيدة، وهذه التقنية تُسهم في نموّ الذات والموضوع على حد سواء.

٤- ظهر في قصيدة بردى للشاعر العطار أنه كان دقيقًا في اختيار الألفاظ وعناصر الصورة البيانية، فكانت ألفاظه وصوره من النوع الذي يحمل صدًى عاطفيًّا، وظلالاً وجدانية.

٥- اهتمَّ الشاعر العطار بالإيقاع الموسيقي اهتمامًا بالغًا، فجاء متناغمًا مع موضوعه ومشاعره، وظهر هذا الإيقاع واضحًا في الحروف والكلمات والقافية والوزن الشعري.

٦- يندرج هذا البحث ضمن الدراسات الأدبية والنقدية، التي تتناول العمل الأدبي بالتحليل والوقوف على المزايا، وتُسهم في تنمية التجربة الشعرية لدى الأدباء.

ملحَق يتضمن القصيدة المدروسة
بردى نهر دمشق الخالد

بـردى سَلسَـلُ البقـاءِ ولحـنٌ ... عبقـريٌّ علـى المَدى يتغنَّـى
رفَّ بـين الحقـولِ نشـوانَ هيمـا ... نَ وغنَّـى الرُّبـا فجُنَّـت وجُنّـا
مـرَّ كالعاشـقِ المُتيَّـم بالـرَّو ... ضِ وكالطَّـيرِ يَسـكبُ الـرُّوحَ لَحنـا
قـصَّ أسـطورةَ الليـالي الخـوالي ... بخيـالاتِ شـاعرٍ مـا تَجنَّـى
وروى قِصَّـةَ الغَساسِـنةِ الغُـ ... ـرِّ وعَهـدًا مـن بَهجَـةِ الفَجْـرِ أسـنَى
الألى سَـطَّرُوا المَحامِـدَ في الأر ... ضِ وعاشـوا كَرْمًـا وكأسًـا ومُزنـا
واسـتطابوا الهَـوى ولَـذُّوا الهَنـاءا ... تِ وعَبُّـوا النَّعيـمَ دَنًّـا فدَنّـا
سَـكِرُوا رافِهـينَ سَـكرةَ عـانٍ ... لم يُفِـقْ مُهجـةً ولَـم يَصـحُ جَفنـا

☆☆☆

وحكـى إمـرةَ الغَطارفـةِ الصِّيـ ... ـدِ ومَـن أشـرقُوا علـى المُلكِ يُمنـا
الحُمـاةُ الأُبـاةُ مِـن عَبـدِ شَـمسٍ ... شَـرُفُوا مَغرسًـا كريمًـا ومَجنَـى
أوسـعوا جانـبَ الحضـارةِ حُسـنًا ... ورَعَـوا أمرَهـا وأعلَـوهُ شَـأنا
وغَذوهـا نَباهـةً وائتِلاقًـا ... فانجلَـتْ خاطـرًا ورأيًـا وذهنـا
ولقـد طافَـتِ العصـورُ عليهـا ... وهـي عشـواءُ تـذرعُ الفكـرَ ظَنّـا
خلَصَـت مـن عمايـةٍ وضَـلالٍ ... وعقـولٍ تَعـجُّ جَهـلاً وأفنـا
ملكوا الأرضَ فاستقادَت لهم طَو ... عًـا ودانَ الوُجـودُ سَـهلاً وحَزْنـا
فتَحوهـا مراحمًـا وسماحًـا ... غـيرَ مـا فاتحـينَ ضَربًـا وطَعنـا
وبَنَوهـا علـى المكـارمِ دارًا ... فزكَـتْ بالأخايـرِ البيـضِ سُـكنا
غبرَ النـاسُ في رُؤى الدَّهـرِ لَفظًـا ... وانطـوَوا في الغيـوبِ لفظًـا ومعنـى
زيَّنـوا الكـونَ بالهدايـا والنُّـو ... رِ وأضفَـوا عليـه علمًـا وفَنّـا
ذكريـاتٌ يحيـا بهـا ونجـاوى ... تركتـه مُشـتَّتَ النَّفـسِ مُضنَـى

☆☆☆

مُتعَبُ الـرُّوحِ إن تذكَّـرَ أنّـا ... موجَـعُ القلـبِ إن تلفَّـتَ حنّـا
مـا عليـه إن جـرى كالـحَ الوَجْـ ... ـهِ كَئيبًـا جـمَّ الهمـومِ مُرِنّـا
بـينَ جَنبَيـهِ مـن صـراعِ اللَّيـالي ... مـا يُعَنِّـي ومـا يَهيـجُ المُعنَّـى
سـاربٌ في الفجـاجِ مـا يَـتروَّى ... راكـضٌ في الوهـادِ مـا يتأنَّـى
مـا لنهـرِ الخلـود يجـري مُغيظًـا ... مُحنقًـا مُتَـرعَ الجَوانـحِ ضغنـا
أتـراهُ اجتَـوَى الذيـنَ أضاعُـو ... هُ فولَّـى غضبـانَ يُعـرضُ عنّـا

☆☆☆

مَفزعي في الخُطوبِ إنْ شفَّني الهَـ ... ـمُّ ومَـرَّ النَّهـارُ يطفـحُ حُزنـا
يجـدُ القلـبُ في حواشـيه دُنيـا ... مـن فنـونٍ، ومتعـةٍ ليـس تَفنـى
مـن نسـيمٍ يظـلُّ يَنفـحُ عِطـرًا ... وندًى كالغَمـامِ يَهتـنُ هَتنـا
ورياضٍ غنيـةٍ بالغـوالي ... حانيـاتٍ علـيَّ غصنًـا فغُصنـا
وعيـونٍ سَـحّاحةٍ باللآلي ... سـاكباتٍ تُغالـبُ النَّـومَ ضَنّـا
يستحمُّ الصَّفصافُ في ضفَّتَيـهِ ... ويُناجيـهِ ناعـمَ الفَـرعِ لَدْنـا
مُستهامًا يُسلسـلُ الـرُّوحَ دَمعًـا ... ويُصاديـهِ عَبقريًّـا مُفنّـا
بـينَ أفيائـهِ تَمَـرَّغُ روحًـا ... بـين أمواهـهِ تبلَّـلُ ردنـا
يَترامـى عليـه شـوقًا وحُبًّـا ... وهـو أصبـى إليـه نفسًـا وأحنـا
يقـفُ الدلـبُ منهمـا مُستريبًـا ... شـاخصًا مقلـةً وقلبًـا وأُذنـا
وهمـا في تـلازمٍ وعنـاقٍ ... يطويـانِ الزمـانَ قرنًـا فقرنـا
لا يُحِسَّـانِ للحيـاةِ مـلالًا ... تَخذاهـا حمًـى حبيبًـا ومَغنـى
رَشَـفاها رغـادةً وصفـاءً ... كرَعَاهـا خمـرًا وصفـوًا وأمنـا
وهـي وردٌ يشـوي الضُّلـوعَ أُجـاجٌ ... مُستَسِـرٌّ يَفيـضُ رَنْقًـا وأجنـا

☆☆☆

بـردايَ الحَبيـبُ يـا فَرحـةَ الـرُّو ... حِ ويـا مُنيـةَ الهَـوى مـا تمنَّـى

يا شفاءَ القلوبِ يا كوثرَ الخُلـ ـدِ ويا مَنهلاً يُناسِمُ عَدْنا
أنتَ نَجوايَ إن أظلَّنيَ الشَّجـ ـو وأنحى عليّ سُقمًا ووَهْنا
وردُكَ العذبُ من أمانيِّ أحلى جَرْسُك الحلوُ من أغانيَّ أغنَى
أنتَ تَجري في خاطري وضُلوعي وتُعيدُ الحياةَ روضًا أغنّا
وتُثيرُ الهَوى فيَهمي دُموعًا وتَهُزُّ الفُؤادَ رُكنًا فرُكنا
تنتحي جِلَّقَ الحَبيبةَ لَهفا نَ وتَجري في مَهدها مطمئنّا
وهي في فرحةِ المَشوقِ تلاقيـ ـكَ وتَحنو عليكَ صدرًا وحُضنا
وتُحيِّيك بالموائس لُدنًا وتُناجيكَ بالصَّوادحِ لُسنا
وتُغنِّي فيَخفقُ النهرُ قاعًا وضفافًا خضرًا نطافًا ومَتنا
تتراءى في السَّهلِ تَنسابُ فيه تتثنَّى ما شئتَ أن تتثنَّى
كشريطٍ من فضةٍ في وشاحٍ سُندسيٍّ يَسبي النَّواظرَ حُسنا
جوُّكَ السمح من شذا المسك أندى نفسًا عابقًا وأشهى وأهنا
أنت للشعرِ مُلهِمٌ يَغمرُ الشِّعـ ـرَ لُحونًا ويُكسبُ الفَنَّ وَزنا
يتغنَّى بك الهوى مستهامًا ليس يختارُ غيرَكَ الدهرَ خِدنا
يَدرجُ الحبُّ في حماكَ شهيًّا كل دوحٍ يُظِلُّ قيسًا ولبنى
وتطلُّ الطيورُ هيما تُغادي ـك فُرادى وتنثني عنك مَثنى
ملء أرواحها حنينٌ وشوق وضلوعٌ على ودادكَ تَحنى

☆☆☆

برادي الذي حببتُ على الدهـ ـرِ وأحللتُهُ فؤادي سُكنى
أنتَ مني الحلمُ الذي أتَشَهَّى أَنتَ مني الشعرُ الذي أتغنَّى

مصادر البحث ومراجعه

- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة والقاهرة.
- أنور العطار- الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وإعداد: هاني أنور العطار، دار الفكر، دمشق ٢٠٢٠.
- دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٩.
- دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، الدكتور حسين علي الدخيلي، دار الحامد للنشر والتوزيع.
- ديوان الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩.
- الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٤١٩هـ، ص١٢٩- ١٣٠.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت ١٩٨١.
- قضايا الشعر العربي الحديث، للدكتور عبد الله خضر حمد، دار القلم، دمشق ٢٠١٧.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.
- لسان العرب، لابن منظور، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣هـ.
- المعجم الوسيط، ط٤، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٠٤.
- المفصَّل في علوم البلاغة العربية، للدكتور عيسى العاكوب، جامعة حلب ٢٠٠٠.
- موسيقا الشعر العربي، لمحمود فاخوري، مطبوعات جامعة حلب ١٩٩٦.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الإدريسي، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٩هـ.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.